الأعمال الكاملة للشاعر

عبد الوهاب البيّاتي



سيرة ذاتيّة لسارق النّار

دار الشروق

ss

سيرة ذاتية
لسارق النار

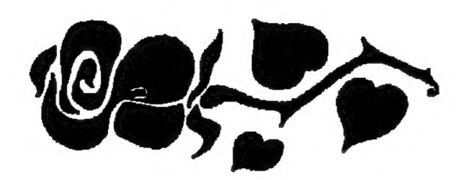
الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

© دار الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف: ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقياً: شروق - تلكس: 93091 SHROK UN
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقياً: داشروق - تلكس: SHOROK 20175 LE
SHOROUK INTERNATIONAL: 318/319 REGENT STREET, LONDON W1, UK, TEL. 637 2743/4, TELEX. SHOROK 267786

الأعمال الكاملة للشاعر
عبد الوهاب البيّاتي



سيرة ذاتيّة لسارق النّار

دار الشروق

[يا عزيزتى ، إن هذا الوداع ليس صائبًا . إن فراقنا يلوح الآن فوق الاحتمال عشرة أضعاف ما لاح فى البدء . من هذه اللحظة يبدأ خيالى . إنه يثير الكآبة فى نفسى . عربة الترام التى تجرها الخيول آتية من بعيد ، إنهم يغيرون الخيل . سأذهب وألقى نظرة على المدينة . أوه ، ياللوحشة !

سأقتل هذه الوحشة الشديدة وأقضى عليها بالشعر .

سأذهب لألقى نظرة على المدينة . إننى لم أعد أراها ...

يا للتعاسة : الكتابة عذاب والاسترسال فيها ألم ،

ولكنى لا أتمالك نفسى من الاسترسال .....

....

للمرة الأولى منذ أيام طفولتى أجد نفسى محترقًا]

باسترناك

(رسائل من تولا)

لا أستطيع أن أحبك أبدًا

ما دمت أحبك

أراغون

أرى جبين المرأة الأولى التى مارست الحب مع البرق

على طاولة التشريح بالحَنُوطِ والكتان

فى العصر الجليدى تنامُ

بعد أن ماتت خلايا الجسد الحيّةُ

والكاهن يتلو رقيةً سحرية

تستيقظ المرأة من سباتها العميق

ترنو لدم الشمس على الطاولة المسحورة

الكاهن يتلو رقيةً

يشق فى مبضعه الأضلاعَ

يستخرجُ من مناجم القلب : عروق الذهبِ

المرأة تبكى

يسجد الكاهن عند قدميها ميتًا

ووردة من يده تسقط فوق كفن الجليدْ

عبد الوهاب البياتى

من قصيدة لم تكتمل

الـمـخـاض

(١)

قال : اقتليني ، فأنا أحبُ عينيكِ

ومن أجلك أبكي .

كانت الكنائس القوطية الحمراء فى بطاقة البريدِ

تستحم بالشمس ،

وبيكاسو غلاف العدد الأخير من مجلة «الحياة»

يرنو لضياء العالم الأخيرِ

قالت : لغةُ الوردة فى حدائق الليلِ

على شفاهنا تزهرُ .

مَنْ يبكى على أسوار هذى المدن ـ الملاجئ ـ القبور؟

مَنْ يبكى على شطآن بحر الروم فى منتصف الليل ؟

ومن يفك لغز الوحش فى «طيبة» ؟

فالعالم فى العصر الجليدىّ على أبوابه الجنودُ

والطغاةُ ، يحجبون بالجرائد الصفراء : نارَ الليلِ

والنبيذ والقيثار .

قالت : بحضور غائبٍ مسكونة ، أتبعُ

موت قمر الثلج على نافذة المدينة ــ الأسطورة

الجميع كانوا يكذبون

وأنا بوحدتى مملوءةٌ ، أسقطُ إعياءً على طاولة المقهى

ونارُ الليلِ فى كأس النبيذ تُشعل البحرَ

أراك قادمًا من آخر الدنيا ، على شفاهنا

تُزهرُ بعضُ الكلماتِ

ينتهى عذابُنا

لنبدأ الرحلةَ من جديد .

ss

(٢)

من قبل أن تُولَد فى ذاكرة الوردة والعصفور.
ماتت على نوافذ الفجر وفى دفاتر الوحشة : نيسابور
تاركة حضورَها الغائب فى حدائق الليل وفى أجنة الزهور
وخصلةً من شعرها فوق سرير المطر المهجور

(٣)

قال : «اقتليني ، فأنا أحب عينيك»
وضاعَ الصوت

(٤)

شوارع المدينة
موحشةٌ ، بعدكِ ، حتى الموت

(٥)

كان مذيعُ نشرةِ الأخبار فى منتصف الليل
يُعيدُ الموجزَ. الأطفالُ كانوا
نائمينَ . كانت
السماءُ حُبلى ، شارة غامضة ،
صيحةُ إنسان يموتُ فى مكانٍ ما . رأيتُ : البرق
فى حربته : يشق جوفَ الليل
والمستنقع الجاثم فى أحشائهِ
رأيت : نيسابور فى سريرها عاريةً تضاجع التنينَ
كان وجهها الميت فى حنوطه مبللاً بعرق الليلِ
وبالحمى ، رأيتُ : بطنها منتفخًا
ويدها تحتضن التنينَ ، تمتد جذوراً فى عروق الأرضِ
كانت فى سرير المطر ـ الوجود ـ تلتف ، تنامُ ،
ومذيع نشرة الأخبار فى منتصف الليلِ

يعيد الموجز ، انتظرتُ : أن تستيقظي أيتها

الكاهنةُ ـ العذراءُ . فالعالمُ في العصر الجليديِّ .

على أبوابه الجنودُ والطغاةُ

يحجبون بالجرائد الصفراء : نارَ الليلِ

والنبيذ والقيثار ، لكنكِ أوصدت بوجهي البابَ والتابوتَ

أغلقت عيونَ الفجرِ

أرسلتِ ورائي العَسَس ـ اللصوص .

أرسلت كلابَ الصيدِ ، ناديتُك ، ضاعَ الصوتُ في الهواء :

كانوا يكذبون كلما داهمهم صقيعُ هذا الليل ،

كانوا يكذبون . إنهم

سيدتي ، كلابُ صيدِ الملك ـ الأمير ـ

كانوا يكتبون الشعر عن عينيك والثورة من خلف

متاريس الأمير ـ الورق العتيق ، من خلف

متاريس سفارات ملوك البدو والبترول .

كانوا يكذبون ، إنهم ، سيدتي ،

أحذيةٌ جديدةٌ معروضة للبيع فى أسواق «بيروت»
وفى أسواق هذا الوطن الممتدِ
كالجرح من المحيط للخليج . قالتْ : لغةُ الوردةِ
فى حدائق الليل على شفاهنا تزهرُ
مَن يبكى على أسوار هذى المدن ـ الملاجئْ ـ القبورِ ؟
مَن يبكى على شطآن بحر الروم فى منتصف الليلِ
آراهُ قادمًا من آخر الدنيا
على شفاهه تُزهرُ بعضُ الكلمات .
ينتهى عذابُهُ
ليبدأ الرحلةَ من جديد

قصائد عن الفراق والموت

ss

(١)

قمر عراقيّ على الأشجار يمسح جَدهُ
ويدق بابًا بعد باب دون جدوى
فالأميرة قبل أن يستيقظَ الفقراء ، كانت
فى جناح يمامةٍ رحلت
ولم تَقُل : الوداع ! فَمنْ رآها
فَليبلغها السلام

(٢)

كان أمير القمر

فوق جواد النار فى سهوب أسبانيا

التى تزحف نحو البحر

يحمل فى خاتمه أولاده السبعة ، لما مر فى جنينةٍ مسكونة بالسحر

فكمنت صبيةٌ له ، ونادت نجله الأصغرَ

أغوته بتعويذةِ حبٍ ، عقلت لسانَهُ وطلسمت

عيونه بالسر

وعندما هم بها

همَّت به : اختفى

وضاع الولدُ الأصغرُ

فى سهوب أسبانيا التى تزحف نحو البحر

ومنذ ذاك الزمن البعيد ، والأمير

يصيح فى الليل ، ينادى نجله الأصغر ، والسهولُ لا تجيب .

ss

(٣)

أكلما مررتُ بالقنطرة

أراك : ياسيدة النساء

تغتسلين ، وجمالُ وجهكِ الفتان

تمضى به المياه

فلا تظنى : عندما أغنى

بأننى فرحانْ

فاننى أموت كالعصفور

إن لم أغن لك ، ياسيدة النساء

(٤)

أشجار ورد غرسوها فوق قبر شاعر مجهول

كانت إلى جوارها تأوى العصافيرُ

وتبكى امرأة مجهولة طوال يوم السبت

وعندما جف ترابُ القبر

اختفى قناع المرأة المجهولة ، الأورادُ ماتت

والعصافير . وظل القبر

تحوم فوق صمته سحابة مسحورة طوال يوم السبت .

(٥)

قال : انتظريني عند البوابات السبع

سنواتٌ سبعٌ مرت

كبرت أشجارُ الغابة فيها

جفَّ النبع

والمرأة لم تفِ بالوعد

لكن العاشق

ظل طوال السنوات السبع

يذهب كل مساءٍ ، منتظرًا ، عند البوابات السبع

الزلـزال

(إلى الشاعر عبد اللطيف اللعبي ورفاقه)

(١)

تُشرق شمسُ الله فى عينيكِ اذ تغربُ فى قواربِ
الصيدِ على شواطئ المغربِ
حيث فقراء الأطلسِ المنتظرون معجزاتِ القمر الولىِّ
فى الأضرحة ـ الطلاسم ـ الذبائح ـ النذور ، حيثُ
النسوةُ المكفناتُ بسواد الخرق ـ الأطمارِ
حيث الشاعرُ الأندلسىُّ يرتدى عباءة الريحِ
يطير حاملا قيثارَهُ فوق جبال النوم .
فوق المدن المفتوحة ، المقطوعة الأثداء ، حيثُ
القمر الولىُّ فى عيون قارعى طبول الملك الأخيرِ

فى «قرطبة» يغيب فى البحر .

أراك : تدخلين ملجأ الأيتام .

تحملين عصفورًا ووردتين من حدائق «الحمراء»

تبكين على سريرك البارد فى منتصف الليلِ

وفى الصباح من شرفة «أفريقيا»

تُطلين على عُريك من زاوية المقهى

أراك ـ وأنا أحمل من منفىً الى منفىً

ترابَ الوطن ـ القصائد الممنوعة ـ الجرائد السرية ـ النار ؟

أراك : تعبرين السوق والبوليس فى المحضر

فى مخافر الحدود محمومًا يغطى بالدبابيس وبالشمع

وجوه فقراء الأطلس ـ الخرائط ـ الذبائح ـ الأضرحة ـ النذور

حيث الشاعرُ الأندلسى . فى سجون العالم الجديدِ

فى زنزانةِ الخليفة الأخير فى «قرطبةٍ» يموت

(٢)

توقفت عائشةٌ . فالباص لا يذهبُ فى الليلِ
الى كوبا ، ولا يعود .

(٣)

كلُّ الدروب أصبحت بعيدة . لكنها ـ مشمسةً ـ تلوحُ من بعيد .

(٤)

قالَ : أعودُ ـ غارسيا لوركا ـ اذا ما انتصفَ الليلُ
وفى الوادىِ الكبير نامت الزهور .

(٥)

العاشقُ الأندلسىُّ عصبوا عيونَهُ وَقَتلوهُ
قبلِ أن ينتصف الليلُ وقبل أن يصيحَ الديك .

(٦)

قالت : رأيت الملكَ الأخير فى «قرطبةٍ» كانَ
بسيف الخشب المكسور فوق عرشه متكئًا
مكتئبًا ، يهتز مثل ريشةٍ فى الريحِ ،
كان حوله السياف والشاعر والمنجم المخصىُّ
فى بلورة محدقًا ، يقول : مولاىَ
أرى سحابةً حمراء فوق هذه المدينةِ المفتوحةِ
المقطوعة الأثداء ، مولاىَ أرى نسرًا عظيمًا
جاثمًا فوقك ــ مولاى أرى الحريقَ فى كل مكانٍ
وجوارى القصر والغلمان بالسم يموتون ، أراكَ
عاريًا أعمى على قارعة الطريق فى «قرطبةٍ» تشحذُ
قالت : عندها أومأ للسياف أن يقطع
رأسَ الشاعرِ ــ النديمِ .
مرت ليلةٌ

وفى الصباح أُحرق المنجم المخصىُّ بالتنور

«مولاى» انتهت

فالباصُ لا يذهب فى الليل إلى كوبا ولا يعودُ ،

والجرائد الصفراء لا تحجب وجه فقراء الأطلسِ

المنتظرين معجزات القمر الولىِ .

قالت ، وبكتْ : فى ملجأ الأيتامِ

كنا نخدع البوليس فى منتصف الليلْ

ونمضى حاملين الصحف السرية ـ القصائد الممنوعة ـ النارَ

إلى الأضرحة ـ الطلاسم ـ الذبائح ـ النذور

حيث النسوةُ المكفناتُ بسواد الخرق ـ الأطهار

حيث الشاعرُ الاندلسىُّ يرتدى عباءة الريحِ

ويبكى حبَّه الضائع فى «قرطبةٍ»

رأيت عصفوراً ووردتينِ من حدائق «الحمراء» فى شَعْرِكِ

كان «اللعبىُّ» يعبرِ الشارعَ :

من منفىٍ إلى سجن ومن سجن إلى منفىّ

تقولين ، أنا أقول أيضًا : «إنه الزلزالُ»

فى «الأطلس» فى كوبا رقصنا

عندما أمطرت السماءُ

قال ضاحكًا «ألبرتُ» : من أين يجئُ النومُ

والبحر ولىٌّ عاشقٌ

يحمل فى سلته المحارَ والأسماكَ واللؤلؤ

هل عاد من الغابات «جيفارا» ؟

رقصنا عندما أمطرت السماءُ والبحر ولىٌّ كانَ

يبكى حبه الضائع فى المغربِ . قالتْ وتقولينَ

أنا أقولُ أيضًا :

إنه الخليفةُ الأخيرُ فى «قرطبةٍ» يموت .

السمفونيـة الفجـرية

(١)

كان المغنى الغجرىُّ يرشقُ العذراءَ بالوردةِ :
والعذراءُ مثل ريشةٍ تدور حول نفسها ،
تحاول اللحاق بالليل الذى كان مَشارف « الحمراءِ »
مقتولاً تغطى صدره الخناجرُ ـ الزنابقُ ـ النجومُ .
كان الغجرىُّ شاحبًا يطرد فى غنائه الأشباحَ
كانت يدهُ ترسم فى الهواءِ شارةَ الغريقِ ـ العاشقِ ـ المخدوعِ
والعذراءُ مثل ريشةٍ تطيرُ خلف يده الواجفةِ ، الضارعةِ .
« الحمراءُ » كان غارقًا كعهده بالصمتِ .
صاحَ الغَجرىُّ : استيقظى أيتها الأعمدةُ ـ الهياكل ـ الأقواسُ

يا مكعبات النور فى قصيدة المستقبل ـ النبوءه ـ الرحيلِ

صاح : استيقظى أيتها الأسطورةُ ـ القبيلةُ ـ

العذراءُ مدت يدها ليده وعانقتها ،

رقصا معًا وأصبحا لسانَ لهبٍ

فاشتعلت فى شَعْرِها الوردةُ .

صاح الغَجرىُّ : احترقى أيتها الصغيرة الحسناءُ .

مال رأسها ، تلاقت العيون والشفاهُ

هذا زمنُ الموت على وسادة الربيع .

مال رأسه ، فاحتضنته وهو يبكى

يطرد الأشباحَ فى غنائه الصاعدِ من قرارة

الأسطورة ـ القبيلة ـ

«الحمراءُ» كان غارقًا كعهده بالصمت والفجرُ

على أبوابه يرسم أشجارًا وقبرات لليل راحلٍ .

تلاقت العيونُ والشفاهُ

ss

صاح الغجريُّ خائفًا : توقفى أيتها الريشةُ فى مدار هذى اللعبة ـ
الفاجعة ـ
العذراء دارت دورتينِ
وقفت ،
تحاولُ اللحاقَ بالليل الذى كان على مشارف «الحمراء»
مقتولاً تغطى صدَرهُ الخناجر ـ الزنابق ـ النجوم

(٢)

توقفت هجرةُ أحزان المغنى ،
وَقعَ الطائر فى الكمينِ ،
مرت عرباتُ الغجر ، الليلة ، فى وحول هذا
الشارع المحاصر ، المسكون بالأشباح .
كان الغجريُّ يمسح السكين بالمنديل ثم
يعبر الشارع محشورًا مع الأشباح فى المقهى

يغنى خائفًا لنفسه . قارئةُ الكفِ له قالتْ
هناكَ مدنٌ رائعةٌ أخرى وراء النهر ، حيثُ الشمسُ
لا تغيب فى الليل ، ولاُ يخدعُ فيها العاشق ـ الغريقُ
فى منتصف النهر ، ولاترحل فيها الريشةُ ـ العذراءُ
صاح اقتربى : فاننى رأيتُ عينيكِ بأسفارِ
النجوم ـ الريح ،
أجدادى على بوابة الشمس
وفى المدافن السرية ـ الكهوف ، كانوا يرسمونَ
وجهك الغارقَ بالنورِ ،
وكانوا ، كلما عاد الربيعُ احتفلوا بعودةِ الروح
إلى الطبيعة الميّتةِ .
الأشباح غابتْ واختفى المقهى
وكان الغجرىُّ راكعًا يبكى ،
وكانت يدُهُ فى يدها
قارئةُ الكف ، له قالتْ : هناك مدنٌ رائعةٌ أخرى

ss

وراء النهر ، فارحلْ

فَهُنا ، الخطوطُ فى كفك ، لا تقولُ شيئًا .

طفقتْ تبكى ،

وكان الغجرىُّ راكعًا يبكى على مكعبات النورِ

فى قصيدة المستقبل ــ النبوءة ــ الرحيلِ

صاح استيقظى أيتها الأعمدةُ ــ الأقواسُ

فى وحول هذا الشارع المحاصر ، المسكون بالأشباح

كانت يدُه فى يدها صماء ، لا تقولُ شيئًا

نهضت قارئةُ الكفِ ودارتْ دورتينِ ،

وقفتْ ،

تحاول اللحاق بالليل الذى كان على مشارف «الحمراء»

مقتولاً تغطى صدره الزنابق ــ الخناجر ــ النجوم

القربان

(إلى بابلونيرودا)

ss

(١)

يُسلخ جلدُ الشاةِ بعد ذبحها لكنّ جلدَ ذلكَ

المنتظر ـ الإنسان . قبل ذبحه يُسلخ فى المنازل

الأرضية ـ المحاضر السرية ـ الملاجئ ـ المحاكم ـ المصارفِ ـ

المسالخ ـ الشوارع العارية ـ السجون ، يُشوى فى

جحيم الكلمات ـ اللغة ـ القوالب الجاهزة ـ القاموسِ

يستعير من أوراقه الأجنحة ـ السماء

كان الشعراءُ يطبخون الموتَ والطيورَ فى رؤوسهمْ

وكنتُ فى الجبال أصطاد لك الفراشة ـ الوعلَ ـ

الغزال ـ القمرَ .

المنجمون احتشدوا فى مدن الطفولة : البحر على
السواحل ـ المالك ـ الأبواب : هل غيّر وهو صامتٌ :
لغته وصوتَهْ ؟
والطائر المنحوتُ فى وجهك : هل مزّق
فى الحلم قناع العاشق ؟
الحلاج كان بقميص الدم مشبوحًا على القاموس
فى عيونه : مدينة أصابها الطاعونُ
ركعتان فى العشق
تعالىْ .
حاملُ القربان ألقى وردةً فى النهرِ .
قاتلتُ مع الاسكندر الأكبر فى فارسَ لكنى
مع المراكب ـ الطيور أبحرتُ إلى زماننا هذا : معى
شهادة التطعيم والبطاقة الشخصية .
الأنهار كانت ترتدى أكفانها .
رأيت «نيرودا» مع الهنود فى مذابح «الأنديز»

في مطارح القارة حيث الجوع والإنجيل والمنشور
في الشوارع العارية ـ المسالخ ـ السجونِ
حيث المدفع ـ الدبابة ـ البيان في الإذاعة ـ الجريدة الصفراءُ
يُنهى دورة الفصولِ ،
يلوى عنقَ الوردةِ ،
قاتلتُ مع الإغريق في مجاهل الشرق .
وقعتُ ، وأنا أمارس السحر ، أسيرًا ،
فتعلمتُ من الأنهار : أحملُ النار إلى زماننا هذا
وأصطادُ لكِ الفراشة ـ الوعل ـ الغزالَ ـ القمرَ .
المنجمون احتشدوا في مدن الطفولة .
الحلاج كان بقميص الدم مصلوبًا
وكان قائد «الزنج» على الفرات يُنهى لعبةَ الخليفةِ
الأبله . لكنَّ ملوك المال والبترول في «الأنديز»
حيث الجوع والإنجيل والمنشور
كانوا يقتلون باسم عجل الذهب ـ الطغاة في كل العصور .

حامل القربان ألقى وردة فى النهرِ
قال : اشتعلىِ أيتها الأنهار فى القارة باسم الفقراء .
حامل القربان . قال : اشتعلى أيتها القارات .

(٢)

لجوهر الحب الذى يكمن فى العذاب والإبداع
لسيدى الشاعر . لاأقولُ . وهو يرحل : الوداع

(٣)

أميركا الشعوب والقصيدة ـ العاشقة ـ القربانْ
جئناكِ بالخبز وبالمنشور والسلاحْ

(٤)

ماذا أضاف الدمُ للقاموس ؟

ركعتان فى العشقِ
رأيت البحر فى طفولة الشاعر يستحم فى غدائرِ
العاشقة ـ القصيدة ـ القربان .
كان الفقراء يذرفون الدمع فى شوارع المدينة العارية .
الحلاج قال ساخرًا لقاتل المأجور : هل سترفعُ السوطَ
بوجه الكلمات ـ الجبل ـ القاموس ؟ مولاتى ستبكى .
عندما يهزمنى الخليفةُ الأبلهُ
فى هذا السباق القذر المجنون فى دائرة الضوءِ .
رأيتُ : الشمس فى عيونه يصطادها العبيدُ والمؤرخون
خدمُ الملوك فى مزابل الشرق .
رأيت الدم فى شوارع القارة مكتوبًا به الإنجيل والمنشور .
مطبوعًا به جبين «نيرودا»
على طوابع البريد والأبواب .
كان الفقراء يذرفون الدمع فى شوارع المدينة العارية ـ القضية ـ
المحكمة ـ التاريخ .

ss

كان الخدمُ ـ الثعالب ـ السادة فى العواصم الكبرى
وفى مصانع السلاح والبنوك يغرقون شعبًا كادحًا بالدمِ .
كان الجنرالُ ـ القاتل المأجورُ
وهو خائفٌ . يذيع من دبابةٍ . بيانه الأولَ
ركعتان فى العشقِ
تعالىْ
حامل القربان ألقى وردة فى النهرِ
لا أقبل أن أُهزم فى الحب . ولا أقبل أن أُساوم الأنهارَ
قاتلتُ مع الإسكندر الأكبرِ فى فارسَ . لكنى
مع المراكب ـ الطيور
أبحرت إلى زماننا هذا .
وفى العواصم الكبرى رأيتُ الشعراء يطبخون الموت والطيور
فى رؤوسهم . وكنت فى الجبال
أصطاد لك الفراشة ـ الوعل ـ الغزال ـ القمرَ .
المنجمون احتشدوا فى مدن الطفولة .

ss

الإسكندر الأكبر باح لى بسر الوردة الزرقاء .

كان «الخضرُ» فى الحاشية الكريمةِ .

المؤرخون حذفوا أسماء قتلانا . أضافوا بعض أسماء

لصوص الخيل . قال خدمُ الملوك : هل تبيع هذى الوردة

الزرقاء ؟ لكنى مع المراكب ـ الطيور أبحرتُ .

تعالىْ ! شفتى بملح ميلادك أملحت . رأيت الشمسَ

فى عيونها يطفئها : العبيد واخْتَشُوِنْ

ورأيت الدم فى شوارع القارةِ .

« نيرودا » على خريطة التكوين يستقرىءُ أقمارَ

براكين الهنود الحمر . غابات من النعاسِ .

ليل البحر يستلقى على أسِرَّة العمال فى مناجم النحاسِ

كان الجنرال ـ القاتل المأجورْ

وهو خائف . يذيع من دبابةٍ . بيانهُ الأولَ

ركعتان فى العشقِ

تعالىْ

حامل القربان ألقى وردة فى النهرِ .

قال : اشتعلى أيتها الأنهارُ فى القارة باسم الفقراء

حاملُ القربان قال :

شتعلى ايتها القارات !

سيرة ذاتية لسارق النار

(١)

اللغةُ الصلعاء كانت تضع البيانَ . والبديعَ
فوق رأسها «باروكةً»
وترتدى الجناس والطباق فى أروقة الملوكِ
فى عصر الفضاء ـ السفن الكونية ـ الثوراتِ .
كان شعراء الكدية الخصيان فى عواصم الشرقِ
على البطون . فى الأقفاص يزحفونَ
ينمو القُمَّلُ ـ الطحلبُ فى أشعارهم ،
وشعراء الحلم المأجور فى الأبراج كانوا بالمساحيقِ
وبالدهان يُخفون شحوب ربةِ الشعر التى تشيخُ

ss

فوق قمة «الأولمب»

كانوا يسرقون غارها الذابل فى المتاحف ـ المزابل ـ النصوصِ

كانوا يجمعون ورق الخريف من مقابر المدارسِ

الشعرية الدارسة .

الخصيان كانوا يمدحون الخدم ـ الملوك فى الأقفاصِ

كان سارق النار مع الفصول يأتى

حاملاً وصية الأزمنة ـ الأنهار ،

يأتى راثيًا :

يهجس ـ فى سباق خيل البشر الفانينَ ،

فى توهج الأرض التى حَل بها ـ

بالرجل الشمس ، وبالقيثارة المرأةِ

حُرّيْن من الأغلال ،

يستبصر أمواج التواريخ وأحزان سلالاتِ

الطيور ـ الحجر ـ الموتى ، . .

على بَرْدِيّة يكتب أسماء أميرات «بخارى»

ss

حاملاً وصية البحر إلى الطفولة ـ المساجد ـ الأسواق .
قال . وهو فى معطفه الطويلِ
كالمسلة المصرية ـ النخلة فى «الكونكورد» :
هل دخلتَ من نافذة الفجر إلى قلبى ؟
ومن أعطاك حق النوم والترحال والبحث عن
الأسوار فى مدينة العشقِ ؟
رأيت وجهه الشاحب فى مطار «باريسَ»
بكيتُ عندما ودعنى للمرة الأخيرةِ
الخصيان كانوا يمدحون الخدم ـ الملوك ـ فى الأقفاص
كان سارق النار على البارِ .
يغنى للعصافير التى أنهكها التجوالُ فى حدائق الثلج .
وكنت متعبًا .
أقاوم النومَ الذى يهبط من سلالم الليلِ
مع الدخان والأمطار .
قال : نشرب . الليلةَ نخب هذه الأميرة الشاعرةِ

ss

المنفيةِ

الأمطار كانت تغسل الأشجارَ والجراح والسطوحَ .

موسيقى كمان العازف الروسىِّ فى زاوية البارِ .

رأيت : مدن الطفولة البيضاء فى ألحانها

وأنهر الجليد والغابات فى «الأورال»

أقسمنا معًا : بالرجل الشمس . وبالقيثارة المرأة

والأميرة الحسناء من أعماقها تضحكُ .

من أعطاك حق البحث فى مدينة العشق عن الله ؟

وعن نافورة تبكى ؟

رأيت وجهَهُ الشاحبَ فى قرارة الكأس .

وكانت يده تمر فوق شعرها الأحمر فى دوامة الرقص .

وفوق الليل والجليد والدخان

(٢)

بحثتُ من حانٍ إلى حانٍ ومن منفى إلى منفىً

عن الوجه الذى يحمله سارق نار الشعرِ
من معابد الآلهة ـ الإنسان ،
عن أميرة المنفى التى كنا وراء شعرها الأحمر
فى مدينة الطفولة ـ المعابد ـ الأسواق نجرى
لاهثينَ ، نشربُ الأنخابَ ،
والخصيانُ كانوا يمدحون الخدمَ ـ الملوكَ فى الأقفاصِ
ينمو القُمَّل ـ الطحلب فى أشعارهم .
كنا وراء شعرها نروِّض الخيولَ فى سهوب هذا الشرقِ .
من أعطاك هذا القمر الأخضر؟
هل دخلت من نافذة الحزن الى قلبى ؟
رأيت : سارق النار على كرسِّيه ينام فى زاويةِ
البار وحيداً
رحلت . قال : «فَمن سيحرس الأنهارَ
فى عرس نهار الموت» ؟
«مَنْ بالغضب الشعرىِّ فى النهر سيُلقى» ؟

بالمصابيح ؟
«عظام الزمن الجديد للأرض . هنا أسمعها . تنمو»
جواد النار فى ملاحم الإغريق تحت قدمى يجمحُ
لا اسمَ له . من كل معنى فارغ . هذا العذاب
« رحلت » : قال : فهل ستدهم الصاعقةُ :
المسلة المصريةَ ــ النخلة فى «الكونكورد» ؟
هل سيهجر الربيع باريسَ ؟
رأيتُ : وجهه اشاحبَ فى قرارة الكأس
وفى المرآةِ
كان ميتًا ، يبدو كمن عاد إلى الحان من القبر لكى نرحل فى الفجر معًا
على ظهور الخيل فى سهوب هذا الشرق .
هل ناديتنى يا أيها الرعدُ ؟
بخارى أصبحت قريبةً .
فلتحمل القبيلةُ : الكواكب الآفلة ــ الأقمارَ
فى الفجر لكى تلقى بها من قمم الصخور للنوارس .

ss

الأمطار كانت تغسل الأشجار والجراح والسطوح .
موسيقى كمان العازف الروسى فى زاوية البار
رأيتُ : مدن الطفولة البيضاء فى ألحانها .
وأنهر الجليد والغابات فى «الأورال»
أقسمنا معًا : بالرجل الشمس ، وبالقيثارة المرأة .
هل تحققت معجزة الحياة بعد الموت ؟
هل ناديتنى يا أيها الرعد ؟
أرى عاصفة شعرية تجتاح هذا الكوكبَ الموغل
بالإرهاب والعنف .
أرى الشاعر فى صحبته يحرث أرض الحلم
هل ناديتنى ؟
«سأطرد المنطق من حظيرتى»
مسافرًا فى النار والأقوال .
فى عرس نهار الحب .
مُنقَضًّا على فريستى : القصيدة ـ المرأة .

ss

كالمنجِّمِ ـ الساحر فى مدينة العشقِ
رأيتُ وجهَهُ الشاحبَ بعد الموت يفترّ
عن ابتسامةٍ وشعرها الأحمر كالشلالِ
يتثالُ من السماء .

ss

الموت في البسفور

(إلى ذكرى ناظم حكمت)

(١)

مررتُ باستامبولَ بعد الليلة الألفِ

وبعد السنة العاشرة ،

التقيتُ بالرفاق : كان بعضهم ماتَ

وكان بعضهم شاخَ

وكان بعضهم خانَ

ضياء القمرِ الطالع فى البسفور بعد الليلة الأولى

وكان البعضُ ـ مازالَ كما تركتهُ ـ

يرحلُ فى الرسوم والأشعار والخمرة والحب إلى

مدينة الحلم ويبكى كلما حاصر «طروادةَ» فى أحلامه

« الإغريق » دكوا سورها
واغتصبوا نساءها
يبكى ، ولا يبكى عذابَ الفقراءِ عندما يحاصرونَ
ويُبادونَ على أسوار هذى المدن الشهيدةِ
التقيتُ بالرفاق :
كانَ يونسُ الأعرج قد مات
وكان يوسفُ السجينُ عند النبعِ
ما زال إلى « مدريدَ » فى سفينة من ورق يرحلُ
وهو يخدعُ السجانَ عند النبع مقهورًا .
وكان الشيخ بدر الدين فى عباءة حمرا
من شقائق النعمان مذبوحًا من الوريد للوريدِ
كان قمرُ الخيانة الأسود فى أساور النساء والأقراطِ
والحانات والأسواق والمراكب البيضاء فى البسفور
كان عاملُ الميناء فى معطفه الأزرق مشبوحًا
على كرسيه فى البار : عملاقًا بلا أسلحة :

كأننا لم نضرب البحرَ بسيف البرقِ .
أو لم نخترق
من أجل أن نضيء ليل البشر ـ الآلهة ـ الطيور
كان البعضُ ـ مازال كما تركته ـ
يمارس التمثيل فوق المسرح الخاوى
وفى السيرك
على ظهر جواد الخشب .
الرفاقُ كانوا يذبلونَ ويموتون
على أرصفة الميناء فى بطءٍ
ولكن المغنى كان فى غنائه
يقاوم الذبول والموت . وفى جحيمه محترقًا
يضيءُ ليل البشر ـ الآلهة ـ الطيور .

SS

(٢)

بَعدكَ كان الموت والفراق فى استامبول .

يمارسان لعبة المنتظر المخدوع

«مُنورٌ» تزوجت ورحلت .

والآخرون أحرقوا الجسور .

(٣)

تغوص فى الأعماق لكنك لا تغرقُ .

هل عُدتَ من المنفى إلى سلطانة العشق على سحابة خضراء ؟

هل رأيتَ فى عيونها : الحريم والأقمار ؟

نجمُ القطب لا يبوح بالسر .

سأبكى عندما تفتح لى بوابة الحديقة : الوصيفةُ الزيتية

العينين ، وهى تفرش السجادة الحمراء تحت قدمى .

يتبعنى يونس فى عكازه .

ss

السلطان فى مملكة الموت : أنا : ساعى بريدٍ
يحمل الدموع والجليد والشموس للعشاق .
هل رأيت من نافذة السجن : ينابيعَ الربيع ؟
وقطار الليل وهو يرسلُ العويل فى عاصفة ثلجيةٍ ؟
كنتُ إلى المنفى أُساقُ
وأنا مقيدٌ بشعرها الأحمر
أعوى وأعض القيدَ .
مَنْ يرحلُ فى نفسى ؟ ولايعود ؟
هل رأيتَ ؟
لاشىء سوى الضوضاء والتصفيق فى القاعات
كان الليل فى كل مكان .
وأنا مقيدٌ بشعرها
أتبعها كالعبد .
هل رأيت ؟
كان يوسفُ السجينُ قد أصبح للسطة جاسوسًا

وكان عاملاً فى محلج القطنِ

وفى المطبعة السريةِ .

الزمان دار

سقط الثلجُ على بوابة الحديقةِ

السلطان فى مملكة الموت أنا ،

أتبع مولاتى إلى المنفى .

قبورُ الشهداء ميراثى

سأبقى حاملاً وسامهم

خارج قاعات الملوك ولصوص الشعر والقبائل الجديدة .

الرفاقُ كان بعضهم ضُيعَ أو ضاعَ

وكان بعضهم مازال فى بسالةٍ يواصل المسيرة الكبرى .

وكان يونسُ الأعرجُ . مازال على إيمانه .

يذرع كل ليلةٍ خريطةَ العالمِ فى عكازهِ

وعندما يعود للقبر

يمد يَدهُ . ليمسحَ الترابَ عن وجه المغنى

وهو في غنائه يقاوم الذبول والموتَ
وفي جحيمه محترقًا
يضيءُ ليلَ البشرِ- الآلهةِ- الطيور.

استامبول ٤ – ١١ – ١٩٧٣

اشـــارات

- أمير القمر وأبناؤه السبعة : أسطورة شعبية أسبانية عن أمير عربي كان يتصف بالفروسية والشهامة (قصائد عن الفراق والموت) .
- في المقطع الثالث من نفس القصيدة : استخدمت مضمون أغنية من أغاني «الفلامنكو» استمعت إليها في مدينة الغجر بجوار قصر الحمراء في غرناطة . وكان يغنيها مغن غجرى . وعندما انتهى من أغنيته . قال : لنشرب نخب هذه الليلة المرتحلة إلى هناك (وأشار) بيده إلى الأفق اللامرئى . قلت : إن الموت قد جاء إلى هذا العالم من هناك . فلنؤجل النخب إلى الغد . قال : عندما سيأتى الغد . سيكون الموت قد سبقنا إلى هذا المكان . ثم طفق يغنى من جديد .
- (الحمراء) فى قصيدة (السمفونية الغجرية) هو (قصر الحمراء) .
- (ركعتان فى العشق) للحلاج .
- الجمل التى بين قوسين فى قصيدة (السيرة الذاتيه) لسان جون بيرس .
- يونس ويوسف والشيخ بدر الدين فى قصيدة (الموت فى البسفور) من أبطال بعض قصائد ناظم حكمت أما (منور) فهى زوجته الأولى التى كتب لها وفيها أجمل قصائده عندما كان فى السجن .

وقد تزوجت (منور) بعد رحيل الشاعر وارتحلت .

ss

- القصائد التي يضمّها الديوان كتبت في عام ١٩٧٣ . أما القصائد التي كتبت عام ١٩٧٢ فسيضمها ديوان آخر بعنوان (كتاب البحر) . لأن لكل منهما رؤية شعرية مستقلة ومختلفة عن الأخرى .
- الكونكورد : من أكبر ميادين باريس وفيه تنتصب المسلة المصرية .
- كان بروميثيوس صديقًا للبشرية . فقد دافع عن الجنس البشرى ضد زيوس رب الأرباب كما جاء في النظرية الميثولوجية الواسعة الانتشار . حيث أراد زيوس الانتقام لنفسه من الإنسان الذى استطاع معرفة أسرار عديدة . ذلك بافنائه والاستعاضة عنه بأجناس جديدة .

وقد نقل هسيود Hesiod (٥١٠ــ ٦١٦) فى الأعمال والأيام مآثر بروميثيوس المبكرة :

فى اجتماع بين الآلهة والبشر فى Mecone كان على الجمعية أن تقرر أى الأجزاء التى ينبغى أن تقدم كقربان للآلهة من الحيوانات المذبوحة . لقد قدم بروميثيوس أفضل أجزاء الثور المغطاة بفضلات الذبيحة فى حين غطى باقى الأجزاء السيئة كالعظام مثلاً ببعض الشحم واللحم .

ولما دعى زيوس للاختيار . اختار القسم المغطى بالشحم فلم يجد فى داخله إلا العظام . ولذا فقد استنشاط زيوس غضبًا . واهتاجته رغبةٌ جامحة لإفناء الجنس البشرى .

سرق بروميثيوس النار وأخفاها فى ساق (شمار Fennel)عميق . ولازال

ساق الشمار يستعمل لحد الآن فى الجزر الإغريقية كوسيلة لنقل الضوء .

وكما جاء فى بعض الأساطير فإن بروميثيوس قد استمد النار عن طريق حمل عصا طويلة [عمود ـ صولجان] بالقرب من الشمس . وقد شاع استعمال ساق الشمار هذا نتيجة لشيوع تلك الأسطورة .

وهكذا احتل بروميثيوس شرف سارق النار من أجل الناس إذا أخذنا بنظر الاعتبار مسألة مثيولوجية النار ككل فينبغى أن نلزم الحذر من الاهتمام بطريقة الحدس الأنثولوجية السريعة [يقصد بها غير الدقيقة] الشائعة بين علماء الأساطير . فمثلاً لو تحدثنا عن طير من الطيور باعتباره جالبًا للنار ، فلا يمكن أن تعنى إلا طابعه الرمزى باعتباره تجسيد للبرق . كثيرًا ما عولجت أسطورة بروميثوس بهذه الطريقة . على الرغم من كونه بطلاً حضاريًا مآثره سرقة النار لصنع الناس من الطين .

Encyclopaeda Britanica

Vol 18 576

ss

الفهرس

دواوين وكتب للشاعر

العنوان	الطبعة	المكان	السنة
١ ـ ملائكة وشياطين	الطبعة الثالثة	بيروت	١٩٦٩
٢ ـ أباريق مهشمة	الطبعة الخامسة	بيروت	١٩٧٠
٣ ـ المجد للأطفال والزيتون	الطبعة الرابعة	بيروت	١٩٦٩
٤ ـ أشعار فى المنفى	الطبعة الخامسة	بيروت	١٩٦٩
٥ ـ عشرون قصيدة من برلين	الطبعة الثالثة	بيروت	١٩٧٠
٦ ـ كلمات لا تموت	الطبعة الثالثة	بيروت	١٩٧٠
٧ ـ النار والكلمات	الطبعة الثالثة	بيروت	١٩٧١
٨ ـ قصائد	الطبعة الأولى	القاهرة	١٩٦٥
٩ ـ سفر الفقر والثورة	الطبعة الثالثة	بيروت	١٩٧١
١٠ ـ الذى يأتى ولا يأتى	الطبعة الرابعة	القاهرة	١٩٨٥
١١ ـ الموت فى الحياة	الطبعة الثانية	بيروت	١٩٧١
١٢ ـ بكائية إلى شمس حزيران والمرتزقة	الطبعة الأولى	بيروت	١٩٦٩
١٣ ـ عيون الكلاب الميتة	الطبعة الأولى	بيروت	١٩٦٩
١٤ ـ الكتابة على الطين	الطبعة الثالثة	القاهرة	١٩٨٥
١٥ ـ يوميات سياسى محترف	الطبعة الأولى	بيروت	١٩٧٠
١٦ ـ رسالة إلى ناظم حكمت وقصائد أخرى	الطبعة الأولى	بيروت	١٩٥٦

١٧ ـ بول ايلوار مغنى الحب والحرية لكلود روا

بالاشتراك مع أحمد مرسى الطبعة الأولى بيروت ١٩٥٧

١٨ ـ اراغون شاعر المقاومة لمالكولم كولى وبيتر. ك . رودس

بالاشتراك مع أحمد مرسى الطبعة الأولى بيروت ١٩٥٨

١٩ ـ محاكمة فى نيسابور (مسرحية) الطبعة الثانية تونس ١٩٧٣

٢٠ ـ تجربتى الشعرية الطبعة الثانية بيروت ١٩٧١

٢١ ـ المجموعة الشعرية الكاملة فى مجلدين ١٩٥٠ ـ ١٩٧٠ بيروت ١٩٧١

٢٢ ـ قصائد حب على بوابات العالم السبع الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٨٥

٢٣ ـ كتاب البحر الطبعة الثانية القاهرة ١٩٨٥

٢٤ ـ سيرة ذاتية لسارق النار الطبعة الثانية القاهرة ١٩٨٥

٢٥ ـ صوت السنوات الضوئية الطبعة الثانية القاهرة ١٩٨٥

٢٦ ـ قمر شيراز

٢٧ ـ مملكة السنبلة

رقم الإيداع ٢٧٩٣/ ٨٥ الترقيم الدولى ٦ ـ ٠٣١ ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف: ٧٧٤٨١٤ ـ ٧٧٤٥٧٨ ـ برقيا: شروق ـ تلكس: 93091 SHROK UN
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف: ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣ ـ برقيا: داشروق ـ تلكس: SHOROK 20175 LE



عبد الوهاب البياتى

- مواليد بغداد ١٩٢٦ .
- تخرج فى دار المعلمين عام ١٩٥٠ وعمل مدرسًا ثانويا .
- صدر ديوانه الأول ، (ملائكة وشياطين) عام ١٩٥٠ ثم توالت أعماله بعد ذلك .
- فصل من عمله فى مجلة الثقافة الجديدة واعتقل عام ١٩٥٤ ثم ترك العراق إلى سوريا فلبنان فمصر .
- عاد إلى وطنه عام ١٩٥٨ مديرًا للتأليف والترجمة والنشر بوزارة المعارف العراقية .. ويعمل الآن مستشارًا ثقافيًا فى مدريد .
- مثّل بلاده فى أكثر من مهرجان دولى .

يومًا .. استطاع أن يسرق نار الشعر .. فانطلق بها فى ملكوت الكلمة . يحترق بها .. ويفنى نفسه فيها .. ويتوحد مع العالم والكون

ويرحل البياتى لبعود .. ويعود ليرحل من جديد .. فيعانق (شيراز) .. أو يفنى نفسه فى البحث عن (الذى يأتى ولا يأتى) .. أو يغوص فى أعماق (البحر) .. فيحفر بأظفاره (على الطين) .. أو يختفى مع (عائشة) التى تبعث يومًا فى صفصافة على ضفاف النهر .. !

إنه مهاجر إلى مدينة لا يصل إليها أحد .. وهجرته تلك هى قدره المحتوم الذى لا يستطيع الفكاك منه .. وهى تشكل هجرات البحث والكشف والارتياد .. طويلة حافلة .. موغلة قاسية .

